ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

AlSadiqeyyah School in Tunisia: A Study of the Emergence and Transformation (1875-1906)

Assist. Prof. Dr. Rabiha Mohammed Khudhayr Esa

Dept. of History, College of Arts, University of Mosul

* *Corresponding author: E-mail* : mailto:rabeha.m.k@uomosul.edu.iq

Keywords:
Khair El-Din Pasha
the prescribed curricula
the teaching staff
Louis Machoel
Sadiqiyah

ARTICLE INFO

Article history:
Received 4 Jan. 2021
Accepted 17 Feb 2022
Available online 20 Oct 2022
E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©2022 College of Education for Humanities, TIKRIT UNIVERSITY. THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

ABSTRACT

Tunisia is well-known for its distinguished cultural and scientific status, which it derived from its teaching institutions that are famous on the level of the Arab countries. One of the teaching institutions that gained a vast fame is AlSadiqeyyah School, which was considered as a living model in the nineteenth century and this school had all the attention of the great Tunisian reformer Khair AlDeen Basha. He established the school to keep up with the requirements of the scientific development and progress, which was inevitable in the time Tunisia was in bad need for them taking into consideration preserving the Arab Islamic identity and the Tunisian cultural heritage

© 2022 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI:http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.29.10.1.2022.08

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit

المدرسة الصادقية في تونس دراسة في النشأة والتحول ١٨٧٥ –١٩٠٦

أ.م.د.رابحة محمد خضير عيسى/ جامعة الموصل/ كلية الآداب

الخلاصة:

عرفت البلاد التونسية بمكانتها الحضارية والعلمية المتميزة التي استمدتها من مؤسساتها التعليمية التي اشتهرت بها على مستوى البلاد العربية عامة والبلاد التونسية خاصة، فمن المؤسسات التعليمية التي نالت شهرتها في البلاد التونسية المدرسة الصادقية، التي عُدت أنموذجاً حياً اشتهرت به البلاد التونسية في القرن التاسع عشر الميلادي التي حظيت باهتمام وإشراف المصلح التونسي الكبير خير الدين باشا، وقد أنشأها لمواكبة مقتضيات التطور العلمي الذي لابد منه في وقت كانت البلاد التونسية بحاجة إليه مع الأخذ بنظر الاعتبار المحافظة على الهوية العربية الإسلامية والتراث الحضاري التونسي.

الكلمات المفتاحية: خير الدين باشا، المناهج المقررة ، الكادر التدريسي ، لويس ماشويل ، الصادقية

المقدمة

حظيت تونس بمكانة حضارية وعلمية متميزة استمدتها من مؤسساتها التعليمية التي أخذت شهرتها وذاع صيتها بين البلاد العربية، فكانت المدرسة الصادقية التي افتتحت بعد جامع الزيتونة من المؤسسات التعليمية ذات الأهمية في البلاد، جاءت بجهود خير الدين باشا التونسي الذي اطلع على نهضة الدول الأدبية التعليمية وتأخر البلاد العربية وركودها، فأنشأ المدرسة الصادقية أنموذجا حياً وعصرياً تعاضد جامع الزيتونة في المحافظة على التراث والهوية العربية الإسلامية ونظمت بشكل يجعلها تتناسب ومقتضيات التطور الذي لابد منه في وقت كانت تونس بحاجة إليه. وقد أدركت النخبة التونسية على اختلاف مرجعياتها غاية خير الدين التونسي من إنشاء المدرسة فساندته في ذلك، بل شارك عدد من علماء الزيتونة التدريس فيها.

حافظت المدرسة الصادقية على مسيرتها التعليمية حتى عام ١٨٨٣ لتدخل في إطار التغيير الجديد الذي فرضته الإدارة الفرنسية عليها وهو المساس بمناهجها العربية والإسلامية التي تعد أحد ركائزها الأساسية لدى النخب التونسية وخريجيها الذين ظلوا محافظين عليها وعلى استمرارية التعليم فيها، التي كان لها دور في تخريج أعدادٍ كثيرة من النخب التونسية الذين كان لهم دورٌ مهم في الحركة الوطنية التونسية.

ساهمت المدرسة الصادقية في تخريج جيل مثقف يعرف اللغة الفرنسية، ومحافظا على هويته العربية الإسلامية.

كما أسهمت المدرسة الصادقية في رفد المجتمع التونسي بأعداد من خريجيها الذين كانوا رموزا للحركة الوطنية التونسية ضد الاحتلال.

تمهيد

كان لجهود خير الدين باشا[١] التونسي الإصلاحية أثرها الواضح على تونس التي برزت بشكل واضح في التجربة الإصلاحية التي قادها محمد الصادق باي (١٨٥٩ –١٨٨١) وعلى الرغم من أن خير الدين كان بعيداً عن الحكم في أثناء المدة (١٨٦٢ –١٨٦٩) منشغلاً بجولاته التي قام بها للعديد من الدول الأوربية ولاسيما فرنسا، فقد درس خلالها نظم حكمها واطلع على أسباب تقدمها وسجل الكثير من الملاحظات والآراء التي دونها في كتابه (أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك)[٢]. فوصل إلى قناعة تامة أن تقدم الدول يرجع إلى تقدمها العلمي والتقني وليس إلى ثرواتها الطبيعية، لذلك اهتم خير الدين

باشا بالتعليم وأراد تكوين نخبة مثقفة كفوءة يقع على عاتقها القيام بحركة نهضوية إصلاحية تخدم البلاد[٣].

وفي ذلك ذكر الجابري أن هدف خير الدين من هذا الاهتمام: "إيجاد مؤسسة لتكوين الأطر الحديثة التي كان خير الدين يحلم بإنشائها"[٤].

كان لرأي خير الدين باشا أثره في الحكومة التونسية ولاسيما على الباي محمد الصادق الذي أبدى اهتماماً كبيراً بالجانب التعليمي وقرر مواصلة ما قام به أحمد باي (١٨٣٧ –١٨٥٥) من اهتمام بالجانب التعليمي، كما برزت جهود خير الدين باشا في المجال ذاته في عهد محمد الصادق باي وتحديداً في جامع الزيتونة والمدرسة الصادقية التي كان خير الدين باشا مشرفاً مباشراً عليها[٥].

إنشاء المدرسة الصادقية

استغرق خير الدين باشا وقتاً طويلاً في التفكير لإنشاء مدرسة عصرية في البلاد مع الأخذ بنظر الاعتبار مشقة العمل والصعوبات الكامنة في التنفيذ وجديتهِ في إنجاح هذا المشروع[٦]، فبعد أشهر قليلة من تنصيبه وزيراً اكبر حتى جمع في بيته لجنة أشرف عليها بنفسه تقوم بمهمة مزدوجة لضبط برامج التعليم في جامع الزيتونة[٧]، والمدرسة الجديدة (المدرسة الصادقية) وكانت اللجنة مؤلفة من أساتذة جامع الزيتونة الذين اقتنعوا بأفكار خير الدين باشا الإصلاحية[٨].

وقد ضمت اللجنة كلاً من وزير القلم والاستشارة محمد عزيز بو عتور، وهو خريج جامعة الزيتونة ومحمد العربي زروق رئيس بلدية مدينة تونس فضلاً عن الشيخ أحمد بن خوجة المفتي الحنفي الذي تولى مشيخة الإسلام منذ عام ١٨٧٨ حتى وفاته عام ١٨٩٦ وقاضي الجماعة الشيخ محمد طاهر الحنفي (١٨٢٦ –١٨٩٤) المعروف بنزاهته والشيخ عمر بن الشيخ (١٨٢٣–١٩١١) العضو في المجلس الأكبر المنبثق عن الدستور الصادر في عهد محمد الصادق باي عام ١٨٦١ والشيخ محمد بيرام الخامس (١٨٤٠–١٨٨٩) المفكر والأديب والمؤرخ صاحب كتاب "صفوة الاعتبار" ولاه خير الدين باشا رئاسة جمعية الأوقاف عام ١٨٧٤ وإدارة مطبعة الدولة التونسية عام ١٨٧٥ والشيخ أحمد الورتاني (١٨٣٠–١٨٨٥) نائب رئيس جميعة الأوقاف والشيخ مصطفى رضوان (١٨٢٥–١٦٠٤) كلَّفهُ خير الدين باشا بإدارة مكتب المحاسبات التابع للجنة الدولية المالية[٩].

اجتمعت اللجنة مدة ستة أشهر ووضعت عملها في نص طويل بمقتضى الأمر الذي أصدره محمد الصادق باي في ١٣ كانون الثاني/ يناير ١٨٧٥ بإنشاء مدرسة ثقافية قومية عصرية عرفت بالمدرسة الصادقية نسبة إلى الباي محمد الصادق[١٠]، فكانت أول مدرسة على الطراز الحديث[١١].

كان هدف خير الدين باشا من إنشاء المدرسة يتضمن أمور عدة منها أن تكون على غرار المعاهد والمدارس الأوربية سواء التي كانت داخل تونس أم خارجها ولاسيما المدارس الإيطالية والفرنسية[١٢]، ولمواكبة الإصلاحات التعليمية التي جرت في مصر وبلاد الشام والدولة العثمانية[١٣]. كما سعى خير الدين باشا أن تكون المدرسة مؤسسة قائمة بحد ذاتها من اجل بلوغ غاية سياسية أراد تحقيقها وهي تكوين موظفين تكويناً يوافق مقتضيات العصر[١٤]، كما أراد إبراز التعاون العلمي بين المدرسة الصادقية وجامع الزيتونة مؤكداً على ان ما يقتبسه المسلمون من الغرب يجب أن يكون موافقاً للشريعة الإسلامية[١٥]، وعن ذلك الهدف يذكر الثعالبي: " أن الغاية من هذه المؤسسة ان تعد نخبة مثقفة ثقافة علمية وأن تسهم في إيجاد إطارات وطنية تتجاوب مع الحاجات الجديدة وذلك بإرسال عدد من البعثات إلى اوربا كل عام من افضل طلابها وذلك تحفيزاً لهم للدخول في الجامعات والمدارس العليا"[١٦]. وان تكون قادرة على إعداد وتخريج طلابها للوظائف الحرة والإدارية في الوقت الذي كانت فيه هياكل الدولة بحاجة إلى نخبة ذات تكوين عصري قادرة في وضع البلاد على طريق التقدم وحمايته من الأطماع الأوربية[١٧].

لذلك عزم خير الدين باشا على إنشاء المدرسة فاتخذ من ثكنته العسكرية قرب جامع الزيتونة مقراً للمدرسة الجديدة بشكل مؤقت[١٨]، يلاحظ من ذلك أنه أراد أن يقنع ممن وقفوا ضده ولاسيما عدد من أساتذة الزيتونة وعدد من الأعيان الذين رفضوا الانفتاح على الثقافة الأوربية والأخذ بنمطها في نظام المدرسة الجديدة.

النظام الداخلي للمدرسة:

تألفت المدرسة من ثلاثة أقسام هي:

القسم الأول: للتعليم الإبتدائي.

القسم الثاني: للعلوم التقليدية.

القسم الثالث: لدراسة اللغات غير العربية والعلوم الضرورية للأمة الإسلامية[١٩].

وقد ظهرت مظاهر التمدن على المدرسة من خلال:

١. استعمال قاعات فسيحة بها مناضد وكرسي للأستاذ.
٢. استعمال السبورة واستخدام التلاميذ الكراسي والقلم والحبر لترسيخ المادة في ذهن التلميذ تجمع بين التعليم في الفضاءات التقليدية والتعليم العصري، فضلاً عن جمعها بين العلوم الشرعية والعلوم الطبيعية[٢٠].

نص قانون إنشاء المدرسة على مجانية التعليم لجميع المسلمين، وكان منهم فئة مماليك القصر أيضاً، وأبناء البرجوازية الكبرى[٢١] وكان التلاميذ متساويين في الحقوق، كان الفارق الوحيد بينهم يعتمد على سلوك وذكاء التلميذ مع ضمان الاقامة لهم في المدرسة، وإعطاء منح مالية للطلبة يتقاضونها من الأحباس[٢٢] التي اسندت إلى إدارة المدرسة.

كان التعليم في المدرسة قائماً على تدريس اللغة العربية وآدابها والعلوم الإسلامية من جهة وعلى تدريس اللغات الأجنبية الحية والعلوم الدقيقة من جهة أخرى[٢٣].

أما بخصوص أقسام التعليم في المدرسة الصادقية، فالقسم الأول المخصص للتعليم الإبتدائي، مدة الدراسة فيه أربع سنوات، يحفظ خلالها التلميذ أجزاء من القرآن الكريم والحديث الشريف، كما يتعلم القراءة والكتابة ومبادئ اللغة العربية والعلوم الشرعية من خلال حفظ المتون

الأساسية، مثل الاجرومية[٢٤] والالفية في النحو[٢٥]. ومتن ابن عاشر[٢٦] في الفقه المالكي، أما تلاميذ المذهب الحنفي فعليهم حفظ منظومة الإمام[٢٧]، ويحق للتلميذ متابعة دراسته للسنة الأولى من القسم الثاني في الوقت نفسه، والقسم الثاني يتألف من اربعة اقسام ثلاثة منها بمعدل سنة والرابع بمعدل سنتين فتكون مدة الدراسة فيه خمس سنوات[٢٨].

أما بالنسبة إلى المواد المقررة في القسم الثاني فهي اللغة العربية مثل كالنحو والصرف والمعاني والأدب والتاريخ الإسلامي والاخلاق[٢٩] والعلوم الشرعية، ويخيّر التلميذ الناجح بالقسم الثاني الانتقال إلى القسم الثالث أو الالتحاق بجامع الزيتونة لاستكمال دراسته في العلوم الشرعية ووسائلها، أو الجمع بين التعليم بالقسم الثالث والتعليم بجامع الزيتونة[٣٠].

بينما كانت الدراسة في القسم الثالث تدون مدة سبع سنوات يتم فيه تعلم اللغات غير العربية (التركية، الايطالية، الفرنسية) كما يدرّس فيه العلوم الرياضية والطبيعة (الجغرافية، علم المواقيت، علم السياسية الممالك والقوانين المقررة بينهم) وهذا القسم مواز للقسمين الأول والثاني إذ يجوز للتلميذ –ابتداء من القسم الأول– أن يختار إما الجمع بين دروس القسمين الأول والثاني ودروس القسم الثالث أو التفرغ للدراسة في القسم الثالث، كما أوصت الفقرة (٥٤) من النظام الأساس مدير المدرسة المزج في تعلم علوم القسم الأول والثاني مع علوم القسم الثالث كل حسب وقته في جدول معروف للمعلم والتلميذ[٣١].

كما أجاز النظام الأساس أن للتلاميذ الذين يتمون حلقة دراسة العلوم الطبيعية والرياضية في مدة قصيرة، أن يخصصوا ما يتبقى من وقتهم في حضور دروس جامع الزيتونة[٣٢].

وأشار النظام الداخلي الخاص بشروط المتقدمين للدراسة في المدرسة إلى شمل جميع المسلمين الذين بلغت أعمارهم ما بين ٦–١٠ أعوام في عام دخولهم الأول، بل ازداد سن الدخول إلى (١٥) عاماً

في العام الأول من افتتاح المدرسة[٣٣]، في حين ذكرت سارة جراي أن من شروط قبول التلاميذ في السنة الأولى أن تتراوح أعمارهم بين ٧-١٥ عاماً وفي السنوات التالية تم قبول الطلاب الذين تتراوح أعمارهم بين ٧-١٠ أعوام[٣٤].

أعلن خير الدين باشا عن افتتاح أبواب المدرسة في ٢٧ شباط/فيفري ١٨٧٥[٣٥]، وعين العربي زروق[٣٦]، مديراً لها يساعده نائبان هما كل من الامير آلاي إسكندر وهو من مماليك أحمد باي والآي وعمر بن بركات وهو مُعين الوزير خير الدين يدقن اللغة الفرنسية والعلوم الرياضية التي كان يدرسها عندما كان في مدرسة باردو فضلاً عن مفتش للدراسات الأجنبية[٣٧].

بلغ عدد التلاميذ الذين قُبِلوا عند افتتاحها الأول بحدود (١٦٧) تلميذاً[٣٨] التحق منهم (١٥٠) تلميذاً بواقع (١٠٠) من العاصمة و(٥٠) من داخل البلاد[٣٩]، وقد منح مدير المدرسة مدة شهر لأجل تسجيل التلاميذ في المدرسة، وكان في المدرسة سكن ومبيت للتلاميذ ممن هم من العاصمة وخارجها يسع لـ (٥٠) تلميذاً (٣٠) من العاصمة و(٢٠) من هم من داخل البلاد، وتتكفل الحكومة بكل المستلزمات المدرسية[٤٠]، كما حدد للتلاميذ زياً موحداً خاصاً بهم على شكل قفطان عربي شبيه بلبس المشارقة (العباءة) منقوش في حاشيته عدد التلاميذ مرسوم حوله سنبلة وغصن زيتون بخيط الذهب[٤١].

وقد سجل كريكن عدد التلاميذ في الأقسام الثلاثة موضحاً مدى إقبال التلاميذ إلى المدرسة، وفيما يأتي جدول يوضح عدد التلاميذ لكل مادة من المواد التي تدرس في المدرسة في النصف الثاني من عام ١٨٧٧[٤٢].

المادة	عدد التلاميذ لعام ١٨٧٧
الفقه الحنفي	١٩
الفقه المالكي	٢٤
اللغة التركية	٢٥
اللغة الفرنسية	٧٩
اللغة الايطالية	١٩
علم الحساب	٧٩
مسح الارض	٢٤
علم الجبر	٩
الجغرافية	٧٩
المجموع	**٧١٤**

وعلى الرغم من التفاوت الكبير بين عدد التلاميذ بين مادة وأخرى، فإن التركيز كان على العلوم واللغات، وذلك هو الاساس الذي ارادهُ خير الدين باشا ومن اجله فتح المدرسة الصادقية ومن أجله فتحت المدرسة الصادقية، كما أن مجموع عدد الطلبة خلال الأشهر القليلة يدل على مدى رغبة التلاميذ في الإقبال على التعلم بهذه المدرسة.

أما الكادر التدريسي، فقد ضم أستاذ اللغة الإيطالية كليمون Kleimon وعلى رأس القسم الثاني الفرنسي نوس روكا Nonce Rocce –معلم أبناء خير الدين– كما ضم الكادر التدريسي عدداً من المعلمين التونسيين للقسم الأول (التعليم الإبتدائي) وعشرة مدرسين في جامع الزيتونة للتدريس بالتعليم الثانوي (٦) منهم علماء حنفية و(٤) علماء مالكية[٤٣]. وعلى ما يبدو أن استعانة خير الدين باشا بأساتذة من علماء جامع الزيتونة، جاء ليثبت أن المدرسة العصرية لم تقطع تواصلها مع المدرسة الأم جامع الزيتونة وعلمائها ولاسيما في تدريس العلوم الشرعية.

أما اللغة التركية فقد درسها رضا أفندي الذي تم استقدامه من استانبول ضمن الكادر التدريسي للمدرسة حتى عام ١٨٧٨، ليأتي أستاذ آخر من مصر الذي لم يبقَ إلا سنة واحدة فقط، إذ لم ينتظم أساتذة تلك المادة إلى أن ألغيت في عهد الاحتلال الفرنسي[٤٤]، كما انتدب خير الدين باشا عدداً من

الأساتذة الأجانب لتدريس اللغات الحية والعلوم الدقيقة في القسم الثالث، فضلاً عن تعيين طبيب خاص بالمدرسة[٤٥]، وتعيين الشيخ محمد البارودي إماماً للمدرسة الذي أستمر حتى وفاته عام ١٨٧٨[٤٦].

كان للمدرسة نظامٌ بشأن حضور التلاميذ وغيابهم أو فصلهم، ففي عام ١٨٧٦ فُصل من المدرسة (١٨) تلميذاً، وفي عام ١٨٧٧ فصل (٦) تلاميذ لعدم قدرتهم على متابعة الدروس، وفي عام ١٨٧٩ طرد ما لا يقل عن (٢٤) تلميذاً (١٣) منهم بسبب عجزهم عن الاستمرار في التعليم و(١٠) بسبب الغياب من دون مبرر وتلميذ واحد بسبب سوء سلوكه[٤٧].

وفيما يخص الامتحانات فكانت سنوية في حين يخضع التلاميذ المتميزون إلى لامتحانات سنوية في دار الباي حضرتها شخصيات تضم أعضاء المجلس الشرعي بالعاصمة[٤٨]. ومدة الامتحانات (١٠) أيام، إذ جرى تقديم هدايا للطلبة المتميزين وهي عبارة عن ساعات مهداة من الباي في حفل بهيج، أما الثلاثة الأوائل الذين أكملوا دراستهم في القسم الثالث، فتعطى لهم منحة لإكمال دراستهم في معهد فرنسي[٤٩]، وقد أوفدت الحكومة التونسية في عام ١٨٨٠ أول بعثة من خريجي المدرسة إلى فرنسا وبريطانيا لمواصلة دراستهم، ثم التحقت بها بعثة ثانية في عام ١٨٨١[٥٠]، ويلاحظ أن اهتمام الحكومة التونسية ومتابعتها شؤون تلاميذ المدرسة كان متواصلاً عاماً بعام على الرغم من الظروف الداخلية التي كانت تمر بها تونس في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر.

أما بالنسبة لرواتب أساتذة المدرسة، فقد تراوحت ما بين (١٥٠) ريالاً في الشهر إلى (٥٣٠) ريالاً لأساتذة اللغة التركية و(٧٣٣) ريالاً خصص لأستاذ العلوم و(٢٠٠) ريالاً لأساتذة القسم الثاني[٥١]، وفي ذلك الشيء ذكر محمد بن خوجة رأياً آخر؛ إذ قال: "أن راتب مدير المدرسة (٦٠٠٠) ريال في السنة ونائبه الأول (٤٢٠٠) ريال ونائبه الثاني (٣٢٠٠) ريال، والمشايخ المدرسين (٣٠٠٠) ريال في العام، والمعلمون تختلف رواتبهم من (٢٠٠) إلى (٣٠٠) ريال في الشهر..."[٥٢].

وفيما يتعلق بتمويل المدرسة فقد حرصَ خير الدين باشا على أن يلحق بالمدرسة الصادقية عدد من الأملاك أنفق ريعها لتمويل المدرسة ليضمن لها البقاء، وتوفير كل احتياجاتها وراتب اساتذتها، وقد اطلق على ذلك "أملاك المدرسة الصادقية" وكانت تلك الأملاك عبارة عن عقارات انتزعت من الوزير الأكبر السابق مصطفى خزندار(١٨٣٧-١٨٧٣)[٥٣] مقابل الديون التي ثبتت عليه للدولة التونسية[٥٤]، وتسمى تلك الأملاك بالحبوس وهي غير قابلة للتصرف ولها إدارة خاصة تشرف على تلك الأملاك[٥٥]، وبذلك حفظ خير الدين باشا تلك العقارات من أن يستحوذ عليها أصحاب الأطماع من أتباع الباي وغيرهم[٥٦]، كما حبسَ الشيخ محمد عريف ناظر "وهو من أعيان البلاد التونسية"، أوقاف الحرمين الشريفين أراضي أشجار الزيتون من غابة تونس وقفاً لتلامذة الصادقية[٥٧].

وهكذا تكللت جهود خير الدين باشا بالنجاح بفضل ما قدمه وبدعم ومساندة علماء جامع الزيتونة الذين كان لهم دور واضح في المدرسة الصادقية التي قدمت نخبة من مفكري الإصلاح في تونس، بل اصبح الشباب التونسيين متأثرين بالمبادئ الإصلاحية التي دعى إليها خير الدين، لذلك تعلق شباب الصادقية بشخصه تعلقاً مباشراً، واستمدوا توجيهاتهم منه، فصار خير الدين باشا أبو النهضة التونسية، في حين تعلق شباب الزيتونة بدعوة خير الدين الإصلاحية، فصار خير الدين باشا أبا النهضة التونسية[٥٨].

استمرت المدرسة الصادقية في تقديم خدماتها إلى الطلاب إلى أن انتهت مدة وزارة خير الدين باشا في عام ١٨٧٨؛ إذ تغيرت أحوال المدرسة وأصابها الاختلال ولاسيما في أثناء وزارة مصطفى بن إسماعيل (١٨٧٨-١٨٨١) الذي استولى على عدد من أوقاف المدرسة[٥٩].

المدرسة الصادقية زمن الحماية ١٨٨١-١٩٠٦:

أولاً: المدرسة الصادقية وزمن لويس ماشويل[٦٠] Louis Machul

واجهت سلطات الاحتلال الفرنسي منذ بداية احتلالها للبلاد التونسية مصاعب عديدة تمثلت بمواجهة مقاومة قوات القبائل وسكان المدن التونسية[٦١]، كما كان على سلطات الاحتلال الفرنسي أن تماشي المعارضة الداخلية في المجالس والرأي العام في فرنسا تجاه مسألة احتلالها للبلاد التونسية[٦٢]، لاسيما وأن الأخيرة كانت تعاني من أزمة مالية ومثقلة بالديون[٦٣]، فضلاً عن نفوذ دول أوربية عدة في سياستها[٦٤]، لذلك كان على سلطات الاحتلال الفرنسي مواجهة تلك الصعوبات من اجل تثبيت سياستها الاستعمارية، فبادرت أول الأمر إلى إلزام البلاد التونسية بمعاهدات لتثبيت سلطاتها السياسية الاستعمارية[٦٥]. التي جعلتها المتنفذة والمتحكمة بمقدرات البلاد من دون غيرها.

وبقدر تعلق الأمر بقطاع التعليم، فقد وجهت سلطات الاحتلال أنظارها إلى الاهتمام بالجانب التعليمي ولاسيما وهي عازمة على نشر اللغة والثقافة الفرنسية في مجتمع عربي اعتمد على التعليم الديني في ثقافته العامة، فعملية نشر اللغة والثقافة الفرنسية إحدى الصعوبات التي واجهت الإدارة الفرنسية في بداية احتلالها لتونس[٦٦].

أمام ذلك بقيت المدرسة الصادقية أكثر من عام من فرض الحماية الفرنسية على تونس، مضطربة في إدارتها وقلقة على مصيرها إلى أن دخلت دورها الثاني، عندما اصدر المقيم الفرنسي بول كامبون Paull Canbon (١٨٨٢-١٨٨٦) في ٩ كانون الأول/ديسمبر ١٨٨٢ أمراً بإدارة المدرسة إلى مدير تونسي يدعى حسونة المتالي ووكيل أوقاف من أصل جزائري اسمه حسن بن أحمد[٦٧]. تحت اشراف مجلس إدارة مؤلف من أعضاء تونسيين وأعضاء فرنسيين بالتساوي[٦٨]، وقد حددت اتفاقية

المرسى الوصايا الفرنسية في توجيه إدارة التعليم العام والسيطرة على الشؤون الفرنسية والتونسية في شؤون التعليم[٦٩]، وكانت أول المسائل التي عرضها مجلس الإدارة موضوع تلاميذ المدرسة الصادقية الذين أرسلوا منذ عام ١٨٨٠ و ١٨٨١ لمواصلة دراستهم إلى فرنسا، إذ أمرت سلطات الإدارة الفرنسية بإعادتهم بحجة عدم قدرة المدرسة على تحمل أعباء نفقاتهم[٧٠].

ثم جاء القرار الآخر في ٢٩ كانون الأول/ديسمبر ١٨٨٣ بعدَّ اللغة الفرنسية أساس التعليم، وعدّها اللغة الوحيدة التي تلقى فيها العلوم، أما اللغة الإيطالية فلا تدرس إلا في المرحلة الرابعة فقط وبوصفها لغة أجنبية ثانية[٧١]، كما تم تقليل عدد الحصص لمادتي اللغة العربية والعلوم الإسلامية[٧٢].

كما شكل كامبون في ديسمبر ١٨٨٣ إدارة التعليم العمومي (وزارة) المعروفة بإدارة العلوم والمعارف، وعين لويس ماشويل Louis Machul مديراً[٧٣] لها الذي كان على معرفة باللغة العربية والثقافة الإسلامية[٧٤]، وذكر كامبون الذي ذكر بعضاً من سياسته في هذا المجال قائلاً: "يجب أن لا تعمل بسرعة كبيرة، يجب التفكير جيداً في متطلبات المستقبل الضرورية، أن ما يحتاجه التونسيون اليوم هو التعليم الإبتدائي بمختلف درجاته: التعليم المهني والتجاري والفلاحي والصناعي. يجب أن يكون هنا عمالاً وفلاحين وتجاراً ويجب أن نتجنب بالخصوص تكوَّن اللامنتمين اللامندمجين"[٧٥] .

أراد خبير التعليم الفرنسي لويس ماشويل بعد تعيينه مديراً للتعليم العمل على تمكين السياسية الاستعمارية التي تقوم على أساس الترميم بدل التخريب والتطوير بدل التدمير حتى انه وجه مذكرة إلى المقيم العام الفرنسي قائلاً: "أن كل شيء في تونس يشير إلينا بأن نتجنب الهفوات التي ارتكبت في الجزائر وان لا يخرج الشعور الإسلامي في هذا الجانب، ولا نمس سمعة المؤسسة الجامعية الزيتونية التي تمثل فخرهم، بل بالعكس إعانة الوطنيين على تطوير مؤسستهم وإصلاح تعليمهم في الزيتونة "[٧٦]، يلاحظ من ذلك مدى اهتمام ماشويل بمجال التعليم التونسي، ودورهُ في تثبيت اللغة الفرنسية في ذلك المجال.

ركز نظام التعليم في المدرسة الصادقية منذ عام ١٨٨٣ على موضوع تعيين المدرسين، وقد أصبح ذلك النظام خاضعاً لقرارات مدير التعليم العمومي. الذي عمل على الغاء التعليم باللغة الإيطالية والإنكليزية والتركيز على اللغة الفرنسية فقط[٧٧]، كما وجه ماشويل اهتمامه الكبير على إنشاء مدارس أطلق عليها "المدارس الفرنسية–العربية" وأنفق عليها من ميزانية المدرسة الصادقية، وعدَّ تلك المدارس ملحقة بالمدرسة الصادقية لتبرير صرفه على تلك المدارس من مال الأوقاف[٧٨]، فضلاً عن ذلك قام لويس ماشويل بإلغاء التعليم الثانوي في المدرسة، وجعلها مقتصرة على التعليم الإبتدائي الذي يهيئ التلاميذ للالتحاق بدار المعلمين الذي انشأهُ ماشويل في تونس عام ١٨٨٥ والذي أطلق عليه اسم "المدرسة العلوية" نسبة إلى باي تونس علي باي (١٨٨٢–١٩٠٢)[٧٩].

كانت غاية ماشويل إزالة المدرسة الصادقية نهائياً، وذلك عن طريق دمجها مع معهد كارنو الفرنسي[٨٠]، الذي سمي في ذلك الوقت المعهد الثانوي الصادقي، إلا أن ذلك الأمر أثار ردود فعل بين السكان التونسيين، فأعرضت سلطة الحماية الفرنسية عن ذلك[٨١]، كونها لا تريد إثارة التونسيين ضدها ولاسيما أنها كانت في سنواتها الأولى من الاحتلال على الرغم من التحولات التي ألحقتها بالمدرسة.

المدرسة الصادقية في زمن ماريوس دلماس:

عين المستشرق ماريوس دلماس Marius Delmas عام ١٨٩٢ للمدرسة الصادقية، وكانت المرة الأولى التي يعين فيها مديراً غير مسلم للمدرسة، سبق وأن عُين ستة مدراء مسلمين منذ تأسيسها، وقد استمر في منصبه مدة عشرين عاماً (١٨٩٢-١٩١٢) حرص خلالها على رفع مستوى التعليم في المدرسة[٨٢]، بإعادة التعليم الثانوي إلى المدرسة، الغاية منها تخريج الموظفين والمترجمين الذين كانت سلطة الحماية بحاجة إليهم كوسطاء مع أهالي تونس[٨٣]. لقد ركزت سلطة الحماية الفرنسية على أن يكون خريجو المدرسة الصادقية مترجمين أفضل من أن يكونوا أطباء ومهندسين أو محاميين، ويكون لهم دور كبير في البلاد.

ركزت السلطة الفرنسية على أن يكون خريجو المدرسة الصادقية من المترجمين وليس من الأطباء أو المهندسين أو المحامين خوفاً من أن يقوموا بدور كبير ضدهم، وقد حصل ذلك؛ إذ إن أغلب خريجي المدرسة الصادقية من ناضل من أجل تحرير البلاد من الاحتلال الفرنسي كما إن اغلب رجالات الدولة الذين برزوا بعد الاستقلال من خريجي المدرسة الصادقية[٨٤].

وجد دلماس حاجة المدرسة إلى إجراء إصلاحات عليها ولاسيما ما يخص قاعات المدرسة، ومكان مبيت الطلبة (القسم الداخلي)، فقرر في عام ١٨٩٧ نقل المدرسة إلى مقر جديد، فاختيرت هضبة القصبة بالعاصمة تونس ليكون مقراً جديداً للمدرسة ومن مال وقف المدرسة[٨٥]، علماً أن ذلك لم يؤثر على نظام المدرسة أو على المتعلمين فيها إلا أنه أثر في مجاورة المدرسة لجامع الزيتونة الذي عدت عمقها الحضاري والديني، ولاسيما في زمن الحماية الفرنسية، وقد بلغت مصاريف بناء المدرسة حوالي ٤٠٠ ألف فرنك فرنسي، وقد أُرخ تاريخ تحول المدرسة إلى بناء جديد جاء في مطلعها:

هذا المحل هو المحلُ الأكرمُ يهبُ العلومُ لمن به يتعلمُ[٨٦]

ازداد عدد خريجي المدرسة الصادقية ممن تثقف بالثقافة الفرنسية والعارفين باللغة العربية، وكان لهم دور فاعل في مطالبة سلطات الاحتلال في إجراء إصلاحات على التعليم، كما كان لهم دور في رفع المستوى التعليمي في تونس ولاسيما من خلال تأسيس المدرسة الخلدونية عام ١٨٩٦[٨٧] ومدرسة قدماء الصادقية[٨٨]، كما شكل عدد من خريجي المدرسة الصادقية أعضاء في اللجنة التي شكلتها الحكومة

الفرنسية من أجل إصلاح التعليم في المدرسة الصادقية ولاسيما فيما يخص اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وأصدر أمر تشكيل اللجنة في ٢٨ أذار/مارس ١٩٠٦ وضمت أبرز الشخصيات التي كان لها دورها الكبير في الحركة الوطنية التونسية كل من البشير صفر رئيس جمعية الأوقاف، وعلي باشا حامبة وكيل أوقاف المدرسة وخير الله بن مصطفى[٨٩] مدير مدرسة قدماء الصادقية ومحمد الاصرم[٩٠] مدير المدرسة الخلدونية، واستاذ جامع الزيتونة محمد النخلي[٩١] المعروف بأفكاره الإصلاحية.

وهكذا استمر التعليم في المدرسة الصادقية، كما استمر التعاون قائماً بينها وبين جامع الزيتونة على مستوى الاستعانة بأساتذة جامع الزيتونة من أجل تطوير تدريس اللغة العربية وآدابها، وظلت المدرسة الصادقية منبراً تعليمياً قائماً إلى الآن في تونس.

الخاتمة

- تعد المدرسة الصادقية واحدة من المؤسسات التعليمية المتميزة في تونس من حيث برنامجها التعليمي الذي احتوى على مناهج أجنبية عدة إلى جانب اللغة العربية.
- حافظت المدرسة الصادقية على إرثها الحضاري والثقافي من خلال المحافظة على الهوية العربية الإسلامية في نظامها التعليمي.
- جاء تأسيس المدرسة الصادقية من أجل النهوض بالجانب التعليمي على نمط عصري وحديث مقتبس من الغرب من دون المساس بالتراث العربي الإسلامي.
- خرّجت المدرسة الصادقية أعداداً من الشخصيات التونسية التي كان لها دور مهم في الحركة الوطنية التونسية ضد الاحتلال الفرنسي، بل أغلب رجالات وقادة البلاد التونسية كانوا من خريجي المدرسة الصادقية.
- نالت المدرسة الصادقية شهرة تعليمية واسعة في البلاد العربية كونها أسست من أحد أبرز مصلحي حركة النهضة العربية بمساندة النخبة التونسية في القرن التاسع عشر.
- تنوع المناهج التي يتم التدريس بها الأساس مما جعلها أنموذجاً عصرياً حديثاً إلى جانب اللغة العربية والأمور الإسلامية.
- على الرغم من التغيير الذي طرأ على المدرسة الصادقية من حيث المكان والبرامج التعليمية على عهد إدارة الحماية الفرنسية، إلا أنها لم تمس هويتها العربية الإسلامية كونها مَعلماً حضارياً يهم المجتمع التونسي.
- جُلّ شخصيات الحركة الوطنية التونسية هم ممن تعلم تعلماً عصرياً في المدرسة الصادقية، فاستطاعوا المزج بين الحركة الإصلاحية والحركة الوطنية.

الهوامش

(١) خير الدين باشا: يعود بأصوله إلى قبلية إباضية تسكن في الجنوب الشرقي لجبال القوقاز من أصول شركسية، ولد عام ١٨٢٠، فقد والديه وهو صغير، أخذ به إلى استنابول عند خطفه من بعض الفرسان المسلمين وبيع في سوق العبيد، ثم بيع مرة ثانية بعد بلوغه السابعة عشر من عمره إلى احد الاعيان التونسيين الذي اهداه الى الباي احمد عام ١٨٣٨، فألحقه بمماليك القصر. وقد اثبت خير الدين جدارة في تعلم الفنون العسكرية والسياسية والتاريخ واللغة الفرنسية. للمزيد من التفاصيل ينظر: احمد امين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، ١٩٤٨)، ص١٤٧-١٤٨؛ سمير بو حمدان، خير الدين التونسي أبو النهضة، دار الكتاب العالمي، (لبنان، ١٩٩٢)، ص١١-١٤.

(٢) خير الدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، تقديم: محمد الحداد، دار الكتاب المصري، (القاهرة، ٢٠١٢).

(٣) الحبيب الجنحاني، "الحركة الإصلاحية في تونس خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر"، المجلة التاريخية التونسية، العدد ٦، (تونس، ١٩٦٩)، ص ١٢٨.

(٤) محمد عابد الجابري، التعليم في المغرب العربي دراسة تحليلية نقدية لسياسة التعليم في المغرب وتونس والجزائر، دار النشر المغربية، (الدار البيضاء، ١٩٨٩)، ص٧٠.

(٥) فان كريكن، خير الدين والبلاد التونسية ١٨٥٠ -١٨٨١، ترجمة: البشير سلامة، دار سحنون، (تونس، ١٩٨٨)، ص٢٠٢-٢٠٣؛ عبدالعزيز الثعالبي، تونس الشهيدة، ترجمة وتقديم: سامي الجندي، ط١، دار القوس، (لبنان، ١٩٧٥)، ص٥٤-٥٥.

(6) Danikl, Grasset, L'instrućtion Publique in tunisie, rapport am.ie gouvernbur générl de l'algérie. faiti alger, le 22mai 1878, p,186.

(٧) اصدر محمد الصادق باي قانون ينظم التعليم في جامع الزيتونة بموجب الامر الصادر في ٢٦ كانون الأول/ ديسمبر، ١٨٧٥، الذي احتوى على (٦٧) فصلاً، للاستزادة ينظر: الثعالبي، المصدر السابق، ص٥٤-٥٥.

(٨) للاستزادة، ينظر: الطويلي، المصدر السابق، ص٩٤-٩٦.

(٩) حمادي الساحلي، العلاقة بين جامع الزيتونة والمدرسة الصادقية، المجلة الصادقية، العدد الخامس، (تونس، ١٩٩٧)، ص١١؛ محمد بو طيبي، "التعليم العصري في تونس بين الواقع والطموح خلال النصف الأول من القرن العشرين"، مجلة أفكار وآفاق، المجلد(٧) العدد (٢)، (الجزائر، ٢٠١٩)، ص١٩١.

(١٠) محمد بن خوجة، صفحات من تاريخ تونس، تقديم وتحقيق حمادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحيى، دار الغرب الإسلامي، (بيروت، ١٩٨٦)، ص٣١٠؛ GRASSET,OP.Cit.,184 .

(١١) احمد السوالم، اصلاح التعليم بتونس خلال القرن التاسع عشر، مجلة مدارات تاريخية، المجلد٢، العدد٤، (الجزائر، ٢٠٢٠)، ص١٣٧.

(١٢) فريد العقاب، اثر الفكر الإصلاحي في تطور المنظومة التربوية بتونس، ٤ نيسان/ابريل/ ٢٠٢٠ على الموقع https://altnweeri-net.

(١٣) المصدر نفسه.

(14) Noredin SraÎeb," Place et function de la langue francaise en Tunisie" Documents Pour l'histore du. Francais langugue étrangeré ou seconde 1décembere 2000."http:journals. Opendition.org.p.5

(١٥) احمد عبدالسلام، مواقف اصلاحية في تونس قبل الحماية، الشركة التونسية للتوزيع، ط١، (تونس، ١٩٨٦)، ص٧٢.

(١٦) نقلاً عن الثعالبي، المصدر السابق، ص٥٨.

(١٧) المختار العياشي، أهمية البنية التحتية المدرسية في تونس قبل الاستقلال، المدونة البيداغوجية، مقال متاح على الموقع. http://akroutbouhouch.blogspot.com/

(١٨) اختيرت منطقة قشلة الزنايدية وهي ثكنة عسكرية قديمة انشأها الباي حمودة باشا (١٧٨٢-١٨١٤) في أوائل القرن التاسع عشر للأنكشارية عام ١٨٠٩، ولازالت قائمة إلى اليوم. بن خوجة، المصدر السابق، ص ٣١١؛ أحمد عبدالسلام، المدرسة الصادقية والصادقيون، بيت الحكمة، (تونس، ١٩٩٤)، ص ٢٠.

(١٩) الجنحاني، المصدر السابق، ص ١٢٩.

(٢٠) العقاب، المصدر السابق، ص ٨.

(٢١) الجنحاني، المصدر السابق، ص ١٢٩.

(٢٢) اهتم خير الدين باشا بالأمور المالية للمدرسة، فحبس عليها املاك مصطفى خزندار الوزير الاول للباي احمد وصهره، الذي اختلس اموال كثيرة، ينظر: المصدر نفسه؛ كريكن، المصدر السابق، ص ٢١١.

(٢٣) الساحلي، المصدر السابق، ص١٠.

(٢٤) الاجرومية: كتاب متخصص في علم النحو العربي ويمسى متن أو نظم أو مقدمة الاجرومية، ألفهُ ابن آجروم، وهو فقيه ونحوي ولغوي مغربي صنهاجي امازيغي توفي عام ٧٢٣هـ- ١٣٢٣م، وبين أجروم في كتابه مبادئ علم اللغة العربية والكلام وانواعه بأسلوب مختلف عما كان متبعاً، لغرض تسهيلها لمن اراد تعلم اللغة العربية. للمزيد من التفاصيل ينظر: ابن اجروم، الاجرومية، تحقيق: حايف النبهان، تقديم: محمد حسان الطيان، (الكويت، ٢٠٠٩)، ص ١٦ وما بعدها.

(٢٥) الالفية: تعني الفية ابن مالك التي ضمت متن جميع قواعد النحو والصرف العربي في منظومة شعرية يبلغ عدد أبياتها ألف بيت على وزن بحر الرجز أو مشطوره. للاستزادة: ابو عبد الله محمد بن مالك الاندلسي، الفية ابن مالك في النحو والصرف، تحقيق: سليمان بن عبد العزيز بن عبد الله العيوني، مكتبة دار المناهج، (الرياض، ١٤٢٨هـ)، ص ١٧ وما بعدها.

(٢٦) متن ابن عاشر: من الكتب المهمة في الفقه المالكي التي تحدث فيه عن أصول العقيد الإسلامية وما جاء بها من تعاليم مرتبة على شكل شعر منظم. للمزيد من التفاصيل بنظر: ابي محمد عبدالواحد بن عاشر، متن ابن عاشر، مكتبة القاهرة، (مصر، ٢٠١٢).

(٢٧) من الكتب الفقهية المهمة للمذهب الحنفي عبدالله عبد الشكور المكي الحنفي، منظومة تحفة الصبيان بمذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، حققها عبد الرحمن ازرق، الكتاب منشور على موقع شبكة الألولكة:

https:www.alukah.net

(٢٨) الساحلي، المصدر السابق، ص ١١.

(٢٩) سارة جراي، خير الدين باشا التونسي وتحديثه الاصلاحية في تونس (١٨٢٢-١٨٧٧)، رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي، (الجزائر، ٢٠١٩)، ص ٩٠.

(٣٠) الساحلي، المصدر السابق، ص ١١.

(٣١) كريكن، المصدر السابق، ص ٢٠٦-٢٠٧؛ الساحلي، المصدر السابق، ص ٢٢؛ Grasset, op, cit , p 197

(٣٢) عبد السلام، المدرسة الصادقية والصادقيون، ص ١٥.

(٣٣) كريكن، المصدر السابق، ص ٢٠٦-٢٠٧. ويذكر أن سن الدخول للمدرسة في عامها الأول وصل إلى (١٦) عاماً كما اقتصر القبول في السنة الأولى على المسلمين فقط. R.Rey,Voyage d'etudes en Tunisie, enlarévue pédayohiqve du October Pares, 1900, librairie CH. Delagra Ve, p,89.

(٣٤) جراي، المصدر السابق، ص ٩٠.

(٣٥) يذكر ان افتتاح المدرسة تم يوم ٢٦ شباط/ فيفري ١٨٧٥. ينظر: بن خوجة، المصدر السابق، ص ٣١١. علماً ان الادق هو يوم ٢٧ شباط/ فيفري اعتماداً على الشهر الهجري الذي يقابله وهو ٢٠ محرم عام ١٢٩٢هـ المصادف ٢٧ شباط/ فيفري. ينظر: الساحلي، المصدر السابق، ص ١٢.

(٣٦) العرب زروق: هو حفيد احد البايات السابقين ومن أنصار سياسة خير الدين التونسي الإصلاحية، وهو أحد مساعدي الجنرال حسين مستشار المعارف والنافعة الذي خلفه في رئاسة المجلس البلدي بالعاصمة تونس. تولى إدارة المدرسة منذُ إنشاءها حتى عام ١٨٨١، وقد عرف عن العربي زروق رفضه الحماية الفرنسية على تونس، فإختار حياة الغربة بعد أن تم امضاء معاهدة باردو في عام ١٨٨١. ينظر: عبد السلام، المدرسة الصادقية والصادقون، ص ١٣، ١٩.

(37) R.Rey, op, cit , p. 89

(٣٨) الساحلي، المصدر السابق، ص ١٢؛ كريكن، المصدر السابق، ص ٢٠٨.

(٣٩) جراي، المصدر السابق، ص ٩٠.

(٤٠) بن خوجة، صفحات من تاريخ تونس، المصدر السابق، ص ٣١١؛ السوالم، اصلاح التعليم في تونس، ص ١٣٨.

(٤١) محمد بن خوجة، "صفحات من تاريخ تونس، المدرسة الصادقية"، المجلة الصادقية، العدد ٦٥، (تونس، ٢٠١٨)، ص٢٦.

(٤٢) كريكن، المصدر السابق، ص ٢٠٩. في حين ذُكر أن (٧٥) تلميذاً درسوا اللغة الفرنسية و (٤٠) تلميذا درسوا اللغة التركية، و(٣٥) درسوا اللغة الإيطالية. Grasset, op, cit, p188-189.

(٤٣) بو فلجة حماوي ومحمد عبلاوي، تأثير نظام الحماية الفرنسية على التعليم في تونس (١٨٨١-١٩٥٦)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة أحمد دراية، (الجزائر، ٢٠٢٠)، ص ٣٨؛ Grasset, op cit, P, 188-189.

(٤٤) كريكن، المصدر السابق، ص ٢٠٩؛ بن خوجة، صفحات من تاريخ تونس، المصدر السابق، ص ٣١٣؛ الساحلي، المصدر السابق، ص ١٣.

(٤٥) الثعالبي، المصدر السابق، ص ٥٨؛ Grasst, op, cit, 193

(٤٦) الشيخ محمد البارودي عالم حنفي من علماء جامع الزيتونة والامام الاول لجامع باردو. بن خوجة، صفحات من تاريخ تونس، المصدر السابق، ص ٣١٥.

(٤٧) كريكن، المصدر السابق، ص ٢٠٩.

(48) Grasset, op, cit, P 197.

(٤٩) للاستزادة ينظر: بن خوجة، صفحات من تاريخ تونس، المصدر السابق، ص ٣١٤؛ كريكن، المصدر السابق، ص ٢١٠.

(٥٠) محمد العزيز الساحلي، "قضية التربية والتعليم من خلال فكر خير الدين واصلاحاته ١٨٢٢-١٨٨٩"، المجلة الصادقية، العدد ٣٤، (تونس، ٢٠٠٤)، ص ٣٦. وحول مصير الطلبة المفودون للدراسة خارج البلاد ينظر: المبحث الثاني.

(٥١) كريكن، المصدر السابق، ص ٢١١.

(٥٢) بن خوجة، المصدر السابق، ص ٣١٣.

(٥٣) مصطفى خزندار: اسمه الحقيقي جيورجيوس سترملا كيس، من اصل يوناني، ولد عام ١٨١٧، بيع وهو صغير في سوق العبيد مع اخ له في استانبول ثم بيع مرة ثانية إلى بايات تونس، تربى في قصور الاسرة الحسينية، اعتنق الإسلام وتعلم علوم الدين، كان مقرباً من الباي أحمد غذ تزوج من شقيقة الباي، شغل مناصب عدة، اصبح نفوذه واسعاً في عهد محمد الصادق باي، أوقع البلاد في قروض كثيرة سببت للبلاد مشاكل كبيرة قادت في النهاية إلى عزله من منصبه عام ١٨٧٣ ومصادرة جميع املاكه، توفي في ٢٦ حزيران ١٨٧٨. للاستزادة ينظر: مصطفى خزندار ودوره السياسي في تاريخ البلاد التونسية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، (تونس، ٢٠٠٨)، ص ٢٦-٣٦.

(٥٤) للاستزادة ينظر: معاد إبراهيم محمد الجعفري، الأوضاع السياسية والاقتصادية في تونس ١٨٣٧-١٨٧٠، أطروحة دكتوراه، (جامعة تكريت)، ٢٠٢٠، ص ٣١٢ وما بعدها.

(55) R. Rey, op, cit, P89.

(٥٦) الساحلي، قضية التعليم، ص ٣٧.

(٥٧) حماوي وعبلاوي، المصدر السابق، ص ٣٨.

(٥٨) المصدر نفسه، ص ٣٧.

(٥٩) بن خوجة، المدرسة الصادقية، ص ٣١.

(٦٠) لويس ماشويل: ولد في الجزائر عام ١٨٤٨ وهو من عائلة بروتستانتية المذهب، من مدينة ليون الفرنسية، عمل والده مترجماً للغة العربية في الجيش الفرنسي للجزائر، ثم قام بتعلم ابنه ماشويل اللغة العربية وقراءة القرآن الكريم، اكمل ماشويل تعليمه في مدارس الجزائر في عام ١٨٦٧، عمل مدرساً للغة العربية في المدرسة الفرنسية- العربية في الجزائر، أرسل في عام ١٨٨١ إلى تونس لتنظيم التعليم في جامع الزيتونة والمدرسة الصادقية، توفي عام ١٩٢٢، للاستزادة ينظر:

Louis Machuel fut le premier Directeur de l'Instruction Publique en Tunisie, après l'établissement du Protectorat. Très attaché au bilinguisme, il fut le créateur des écoles franco-arabes. http://www.memoireafriquedunord.net/biog/biog08 Machuel.htm; Sur Le Même Banc: Louis Machuel Et La Rencontre Franco Français(1883-1908), Protectorat Le

(٦١) للاستزادة ينظر: احمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر (١٨٨١-١٩٥٦)، تعريب: حمادي الساحلي، ط١، الشركة التونسية للتوزيع، (تونس، ١٩٨٦)، ص ٢٤-٥٤؛ علي المحجوبي، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، تعريب: عمر بن ضد وآخرون، دار سراس للنشر، (تونس، ١٩٨٦)، ص ٤٦-٥٧.

(٦٢) القصاب، المصدر السابق، ص ١٠-١١.

(٦٣) للاستزادة ينظر: راوية غرابي وأخرون، الازمة المالية التونسية وتأثيرها على سيادة تونس خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف- المسيلة، (الجزائر، ٢٠١٥)، ص ٢٢ وما بعدها.

(٦٤) المحجوبي، المصدر السابق، ص ٣١-٣٦.

(٦٥) فرضت سلطات الاحتلال الفرنسي على تونس معاهدتي باردو عام ١٨٨١ ومعاهدة المرسى عام ١٨٨٢، كرست في الاولى الهيمنة الفرنسية على تونس بعد توقيع الباي محمد الصدق على المعاهدة الأولى، وأقرت في الثانية نظام الحماية من قبل المقيم الفرنسي كامبون مع محمد الصادق باي، فكبلت فرنسا البلاد التونسية بهاتين المعاهدتين كسياسة جديدة لتظهرها امام العالم. للمزيد من التفاصيل ينظر: المحجوبي، المصدر السابق، ص ٦٠-٦١، ص٨٦-٨٧؛ محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تعريب: محمد الشاوش ومحمد عجنية، ط١، دار سراس للنشر، (تونس، ١٩٩٣)، ص ٩٩-١٠٠.

(٦٦) للاستزادة ينظر: الثعالبي، المصدر السابق، ص ٥٨-٦٠؛

Claude CORTIER, Conquête par l'école et réalités du « terrain » : quelques aspects de l'action de l'Alliance française dans le bassin méditerranéen (1883-1914), Institut national de recherche pédagogique, Lyon

(٦٧) بوقلجة حماوي ومحمد عبلاوي، تأثير نظام الحماية الفرنسية على التعليم في تونس (١٨٨١-١٩٥٦)، جامعة احمد ادراية، (الجزائر، ٢٠٢٠)، ص ٥١.

(٦٨) الساحلي، العلاقة بين جامع الزيتونة، ص ١٣.

(69) Nishiyama Noriyuki, La pédagogie bilingue de Louis Machuel et la politique du protectorat en Tunisie à la fin du XIXe siècle, P.99.

(٧٠) عبد السلام، الصادقية والصادقيون، ص ٣١.

(٧١) عبد السلام، الصادقية والصادقيون، ص ٣١. علماً ان هناك ما يذكر ان إدارة المدرسة أقرت الغاء تعليم اللغتين الإيطالية والتركية من كل المراحل. ينظر: فتيحة شبيكة، السياسة الفرنسية في تونس وآثارها الاجتماعية ١٨٨١-١٩٢٠، رسالة ماجستير، جامعة محمد بوضياف- المسيلة، (الجزائر، ٢٠١٩)، ص٨٩.

(٧٢) الساحلي، العلاقة بين جامع الزيتونة، ص ١٣.

(73) Noriyuki, op, cit, P.104.

(٧٤) للاستزادة عن ذلك ينظر: Noriyuki, op, cit , P.99-109.

(٧٥) محمد عابد الجابري، المصدر السابق، ص٧١.

(٧٦) الصحبي بن منصور، الحركة الإصلاحية والتعليم التونسي، التأثير وصداه في الصحافة التونسية (١٨٤٠-١٩٤٠)، مقال متاح على الموقع https://www.elkalaa.org/%D8%A7%

(٧٧) عبد السلام، الصادقية والصادقيون، ص ٣٢.

(٧٨) الجابري، المصدر السابق، ص ٧١.

(٧٩) حماوي وعبلاوي، المصدر السابق، ص ٥٢.

(٨٠) يعود تأسيسه إلى فترة بدء الحماية الفرنسية على تونس في عام ١٨٨٢ تحت اسم معهد كارنو أو اليسي كارنو، وقد بقي يحمل ذلك الاسم إلى عام ١٩٣٣ إذ سمي بعد ذلك معهد بورقيبة النموذجي في تونس. ينظر: معهد بورقيبة النموذجي بتونس، مقال متاح على الانترنيت على الموقع: https://vymaps.com.

(٨١) الساحلي، العلاقة بين جامع، ص ١٣.

(٨٢) الجابري، المصدر السابق، ص ٧١. علماً أنه منذ عام ١٨٨٢-١٨٩٢ كان ماشويل المسؤول عن إدارة مجلس المدرسة الصادقية وعن كل القرارات الخاصة بالمدرسة، فكانت إدارة المدراء التونسيين ممن كانوا في زمن الحماية إدارة صورية لذلك وجد الفرنسيين في تعيين مدير فرنسي قد يعطي للمدرسة استقلالية عن إدارة التعليم العمومي. ينظر: عبد السلام، الصادقية والصادقون، ص ٣٢.

(٨٣) الجابري، المصدر السابق، ص ٧١.

(٨٤) عادل السبتي، الصادقية التونسية...ايقونة العلم والنضال ورجالات الدولة، مقال متاح الموقع: https://www.aa.com.tr.

(٨٥) للاستزادة ينظر: عبد السلام المدرسة الصادقية، ص ٣٦-٣٧.

(٨٦) بن خوجة، المدرسة الصادقية، ص ٣٢.

(٨٧) المدرسة الخلدونية: وهي المدرسة التي انشأها مجموعة من علماء الزيتونة، وخريجو المدرسة الصادقية من اجل بعث العلوم العصرية الحديثة باللغة العربية، لعدم اعتمادها في جامع الزيتونة، وقد وافقة سلطة الحماية الفرنسية على قانونها الأساسي في عام ١٨٩٦ وانتخب محمد الغزوي مديراً لها، يساعده مجلس مؤلف من ابرز رجالات خريجي المدرسة الصادقية مثل البشير حفر، فضلاً عن انصار النهضة وتلاميذ الشيخ سالم بو حاجب اللغوي والفيلسوف المربي التونسي (١٨٢٧-١٩٢٤)، اهتمت المدرسة بتدريس التاريخ والجغرافية والعلوم الطبيعية والرياضيات، ورسم الاراضي واللغة الفرنسية، واقبل شباب جامع الزيتونة عليها اقبالاً كثيراً. للاستزادة عن ذلك ينظر: محمد الفاضل بن عاشور، الحركة الأدبية والفكرية في تونس، دار الهنا، (القاهرة، ١٩٥٥)، ص ٥٣ وما بعدها.

(٨٨) مدرسة قدماء الصادقية: أسست في ٢٣ كانون الأول/ديسمبر عام ١٩٠٥، وباشرت عملها في أوائل عام ١٩٠٦، وكان الغرض من تأسيسها أن يكون هناك تفاهم بين السكان العرب التونسيين والفرنسيين في تونس عن طريق تعميم التعليم الفرنسي في مرحلة الكتاتيب القرآنية، وقد أسندت ادارتها إلى مترجم القضاء خير الله مصطفى، وكان أعضاءها من المدرسة الصادقية فضلاً عن شخصيات من ذوي المهن الحرة. ومن أبرز رموزها علي باش حانيه خريج المدرسة الصادقية وأحد أبرز الشخصيات الوطنية التونسية ضد الاحتلال الفرنسي. للمزيد من التفاصيل ينظر: بن عاشور، المصدر السابق، ص ٨٧-٩٢.

(٨٩) خير الله بن مصطفى (١٨٦٧-١٩٦٥): اجنبي الأصل، ولد جده مصطفى في منطقة مورس اليونانية، اختطف وبيع إلى احد التجار التونسيين، فالحق بالجيش التركي وتدرج في المناصب العسكرية إلى ان وصل رتبة اغا، لقد اعتنى مصطفى اغا بابنه خير الدين عناية فائقة، ادخله المدرسة العلوية، كان مجتهداً وذكياً، انهى دراسته الثانوية بعلامات عالية، عين مدرساً في المدرسة الصادقية مدة ستة أعوام، ثم تابع اكمال دراسته العليا، أسندت اليه رئاسة جمعية قدماء الصادقية التي أنشئت عام ١٩٠٦، للاستزادة، ينظر: الزمرلي، المصدر السابق، ص٣٢١-٣٢٥.

(٩٠) محمد الأصرم (١٨٥٨ -١٩٢٥) الاديب والعالم ينحدر من اسرة عريقة من مدينة القيروان، درس في جامع الزيتونة والمدرسة الصادقية وقد لفت اليه أنظار اساتذته لتفوقه ونبوغه وهو من الطلبة الأوائل في المدرسة الصادقية الذي اكمل دراسته في فرنسا، وبعد عودته عين معلماً في المدرسة العلوية التي أنشئت في عام ١٨٨٤، ثم عين في منصب مدير إدارة الغابة، الا ان ذلك لم يؤثر على تواصله في اثراء معلوماته وتوسيع ثقافته التي استثمرها في رسالته التربوية ولاسيما منذ تأسيس الجمعية الخلدونية في عام ١٨٩٦ للاستزادة ينظر الصادق الزمرلي، اعلام تونسيون، تقديم وتعريب حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، (بيروت، ١٩٨٦، ص١٧٧-١٨٥.

(٩١) الشيخ محمد النخلي القيرواني(١٨٦٩ -١٩٢٤) احد رجالات التنوير والإصلاح في تونس، ولد في مدينة القيروان عام ١٨٦٩ في اسرة عربية، تميز بذكائه العالي، وقدرته على الاستيعاب ودقة بحثه وحرية فكره، مما اهله ليكون من الرواد الأوائل لحركة الإصلاح والتوعية والدعوة إلى الفكر الإصلاحي في تونس. للاستزادة، ينظر: الساحلي، العلاقة بين جامع الزيتونة، ص ٤.١٤ عادل بن يوسف، لشيخ محمّد النخلي القيرواني (١٨٦٩ - ١٩٢٤): أحد رجالات التنوير والإصلاح المغمورين في تونس، مقال على الموقع التالي: https://ar.leaders.com.tn/article/5867-%D8%A7%

Claude CORTIER, Conquête par l'école et réalités du « terrain » : quelques aspects de l'action de l'Alliance française dans le bassin méditerranéen (1883-1914), Institut national de recherche pédagogique, Lyon

1. Danikl, Grasset, L'instruction Publique in tunisie, rapport am.ie gouvernbur génerl de l'algérie. faiti alger, le 22mai 1878, p,186.
2. https:www.alukah.net
3. Louis Machuel fut le premier Directeur de l'Instruction Publique en Tunisie, après l'établissement du Protectorat. Très attaché au bilinguisme, il fut le créateur des écoles

franco-arabes. http://www.memoireafriquedunord.net/biog/biog08 Machuel.htm; Sur Le Même Banc: Louis Machuel Et La Rencontre Franco Français(1883-1908), Protectorat Le

4. Nishiyama Noriyuki, La pédagogie bilingue de Louis Machuel et la politique du protectorat en Tunisie à la fin du XIXe siècle, P.99.
5. Noredin SraÎeb," Place et function de la langue francaise en Tunisie" Documents Pour l'histore du. Francais langugue étrangeré ou seconde 1décembere 2000."http:journals. Opendition.org.p.5
6. R.Rey,Voyage d'etudes en Tunisie, enlarévue pédayohiqve du October Pares, 1900, librairie CH. Delagra Ve, .
7. Ibn Ajroom, AlAjromeyyah, Commentary by: Hayef ALNabhan, presentation of: Mohammed Hassan AlTayyan (Kuwait, 2009).
8. Abu Abdullah Mohammed Ibn Malik AlAndalusi, Alfeyyat Ibn Malik in Grammar and morphology, commentary by: Sulaiman Ibn Abdualaziz Ibn Abdullah AlOyooni, Dar AlManahij library, (Riyadh, 1428 A.H.).
9. Abu Mohammed Abdulwahid Ibn Ashir, Matn Ibn Ashir, Cairo library, (Egypt, 2012).
10. Ahmed AlSawalim, Reforming the education in Tunisia during the nineteenth century, Madarat Tarekheyya journal, Vol. 2, No. 4, (Algeria, 2020).
11. Ahmed AlQassab, Contemporary History of Tunisia (1881-1956), Translated by: Hammadi AlSahili, Ed.1, The Tunisian company for distribution, (Tunisia, 1986).
12. Ahmed Ameen, Leader of reform in the modern age, AlNahdha AlMasreyya library, (Cairo, 1948).
13. aAhmed Abdulsalam, AlSadiqeyya school and its members, AlHikma house, (Tunisia, 1994).
14. Ahmed Abdulsalam, Reformatory attitudes in Tunisia before the protection, The Tunisian company for distribution, Ed. 1, (Tunisia, 1986).
15. Ibn Khoujah, Pages from the history of Tunisia, AlSawalim, The reform of education in Tunisia.
16. Bu Qaljah Hammawi and Mohammed Ablawi, The impact of the French protection system in teaching in Tunisia (1881-1956), An M. A. thesis, College of Humanities and social sciences, University of Ahmed Derayah, (Algeria, 2020).
17. Bu Qaljah Hammawi and Mohammed Ablawi, The impact of the French protection system in teaching in Tunisia (1881-1956), University of Ahmed Derayah, (Algeria, 2020).
18. AlTuniseyyah (1840-1940), An article at: https://www.elkalaa.org/%D8%A7%
19. AlHabeeb Aljanhani, The reformatory movement in Tunisia during the first half of the nineteenth century, The Historical Journal of Tunisia, No. 6 (Tunisia, 1969).
20. Hamady Al sahilly the relation between mosqe Al zutunea and sadiqeyya school, sadiqeyya, journal No.5 (tunesia 1997)

21. Khair Aldean AlTunisi, Aqwam AlMasalik Fi Ma'rifat Ahwal AlMamalik, presented by: Mohammed AlHaddad, house, House of the Egyptian books, (Cairo, 2012).
22. Rawiyah Ghurabi and others, The Tunisian financial crisis and its effect on Tunisia sovereignty during the second half of the nineteenth century, An M.A. thesis, College of Humanities and social sciences, University of Mohammed Bu Dheyaf, AlMaseela, (Algeria, 2015).
23. Sara Gray, Khair AlDeen Basha AlTunisi and his modern reforms in Tunisia (1822-1877), An M.A. thesis, AlArabi Ibn Muhaidi university, (Algeria, 2019).
24. Sameer Bu Hamdan, Khair AlDeen AlTunisi, the father of the renaissance, International House of Books, (Lebanon, 1992).
25. AlSadiq AlZamarli, Tunisian great figures, presentation and translation by: Hammadi AlSahili, House of Islamic west, (Beirut, 1986).
26. AlSubhis Ibn Mansoor, The reform movement and education in Tunisia, the effect and its reflection on journalism.
27. Adil AlSabti, The Tunisian Sadiqeyya… the icon of science, struggle and the state men, an article at: https://www.aa.com.tr
28. Adil Ibn Yousif, AlSheikh Mohammed AlNakhli AlQairawani (1869-1924): one of the forgotten men of enlightenment and reform in Tunisia, an article at: https://ar.leaders.com.tn/article/5867-%D8%A7%.
29. Abdulazizi AlThaalibi, The martyr Tunisia, translated and presented by: Sami AlJundi, Ed. 1, AlQaws house (Lebanon, 1975)
30. Ali AlMahjoobi, Establishing the French protection in Tunisia, translated by: Omer Ibn Dhid and others, Saras house for publishing, (Tunisia, 1986).
31. Van Gricken, Khair AlDeen and Tunisia 1850-1881, translated by: AlBasheer Salamah, Sahnoon House, (Tunisia, 1988).
32. Futaiha Shabeeka, The French policy in Tunisia and its social impacts 1881-1920, An M.A. thesis, University of Mohammed Bu Dheyaf, AlMaseelah, (Algeria, 2019).
33. Fareed AlUqab, The effect of the reformatory though on the development of the educational system in Tunisia, 4th April 2020, at : https://altnweeri-net
34. Mohammed AlAzizi AlSahili, The issue of education and teaching through the thought of Khair AlDeen and his reforms 1822-1889, AlSadiqeyya journal, No. 34, (Tunisian, 2004).
35. Mohammed AlFadhil Ibn Ashoor, The literary and thought movement in Tunisia, AlHana house, (Cairo, 1955).
36. Mohammed AlHadi AlShareef, The history of Tunisia from the pre-history ages until its independence, translated by: Mohammed AlShawesh and Mohammed Ajneyyah, Ed.1, Saras house for publishing, (Tunisia, 1993).
37. Mohammed Ibn Khoujah, Pages from the history of Tunisia, AlSadiqeyya school, AlSadiqeyya journal, No. 65, (Tunisia, 2018).
38. Mohammed Ibn Khoujah, Pages from the history of Tunisia, presentation and commentary by: Hammadi ALSahili and AlJeelani Ibn AlHaj Yahya, House of the Islamic west, (Beirut, 1986).

39. Mohammed Bu Taibi, The modern teaching in Tunisia between the reality and ambition during the first half of the nineteenth century, Thoughts and Horizons Journal, Vol. (7), No. (2), (Algeria, 2019).
40. Mohammed Abid AlJabiri, Education in Arab Morocco, An analytical and critique study of the education policy in Morocco, Tunisia and Algeria, The Moroccan Publishing House, (Casablanca, 1989).
41. AlMukhtar AlAyashi, The importance of the school infrastructure in Tunisia before the independence, pedagogical blog, an article at http://akroutbouhouch.blogspot.com.
42. Mustafa Khazindar and his political role in Tunisia, College of humanities and social sciences, (Tunisia, 2008).
43. Ma'ad Ibrahim Mohammed AlJaafari, The political and economic circumstances in Tunisia 1837-1870, A Ph. D. thesis, (Tikrit University.
44. Abu Ruqaiba Typical Institute in Tunisia, an article at: https://vymaps.com.